تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

لِلْشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّه بِن سِعْدِيٍّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِين

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفُضلاء، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بأسمائِهِ الحُسنى، وصفاتِهِ العُلا، كما جمعنا فِي مسجدِ نبيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شهرِ رمضانَ المُبارك، أسألهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجمعنا مع رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أعلى الجنة، وأن يتقبلَ مِنا مَا نُقدم، وأن يُعيننا على ذكرهِ وشُكرهِ وحُسن عبادته.

معاشرَ الفُضلاء نبدأ درسنا بفائدةٍ رمضانيةٍ قصيرة: معاشر الفُضلاء إن شهرَ رمضان شهرُ الصبرِ، فشهرُ الصبرِ اسمهُ، الصبرُ حقيقتهُ، وفيهِ أثرُ الصبرِ وجزاءُ الصبر، فشهرُ رمضان اسمهُ شهرُ الصبرِ.

صح عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سماهُ شهر الصبر، وحقيقةُ شهر رمضان يبرزُ فيها الصبر بأنواعهِ الثَّلَاثَة، فالمؤمنُ فِي شهر رمضان يصبرُ على طاعة الله، يصبرُ على الصيام مع أنه يُخالفُ مَا اعتاده، مِنْ أنه إذا عطشَ شَرِب، وإذا جاعَ أكل، لكنهُ فِي أيامِ رمضان، يصبرُ على الصوم على هذه الطاعةِ الشريفةِ العظيمة، فلا يمدُ يدًا إلى ماء، ولو كانَ بمفردهِ، ولا يمدُ يدًا إلى طعام، ولو كانَ بمفردهِ، يصبرُ على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمؤمنُ فِي شهرِ رمضان يصبرُ عَنْ معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ فيُمسكُ عَنْ المفطرات ولو اشتهتها نفسهُ، يصبرُ عنها ويُصابر ويصبرُ عَنْ المحرمات فيكونُ فِي صومهِ أشدَ تحفظًا مِنْ المحرمات مِنْ أيامهِ الأُخرى فلا يسمعُ حَرَامًا، ولا يقولُ حَرَامًا، ولا يفعلُ حَرَامًا، يصبرُ عَنْ معاصي الله، مَنْ ابتُليَ بالتدخين يصبرُ عَنْ شُرب الدُخانِ حالَ كونهِ صائمًا، فيصبرُ عَنْ المعاصي عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

كما أنه يصبرُ على الألمِ الَّذِي يحصلُ مِنْ الجوعِ والعطش، وَهَذَا صبرٌ على أقدارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المؤلمة، فهذا يجمعُ للمسلمِ أنواعَ الصبرِ كُلِّها، ولذلك كان الصومُ ولاسيما فِي شهرِ رمضان أعلى درجاتِ الصبر، فَهُوَ مما يُستعانُ به على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويُستعانُ به على الصبرِ على المكروهات.

وَهَذَا الشهرُ المُبارك هُوَ مِنْ الصبرِ فِي أثره، فأثرُ الصبرِ يتحققُ للصائم، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُ الصائمين؛ لأن اللهَ يُحِبُ الصابرين، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يكونُ مع الصائمين؛ لأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مع الصابرين، فهذا الصومُ لَهُ أثرٌ عظيمٌ فِي نفسِ الإنسان.

☚ **كما أن جزاء الصومِ ولاسيما فِي هَذَا الشهرِ المُبارك هُوَ مِنْ جزاء الصابرين:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فالصائمونَ لا يعلمُ قدرَ جزائهم إلا مَنْ صاموا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قَالَ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ عمل ابن آدمَ يُضاعف الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائةِ ضعف، قَالَ الله: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به**».

فهذا الحديثُ يدل على أن مُضاعفةَ أجر الصائم لا يعلمُها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي فوقَ مضاعفة بقية الأعمال التي تُضاعفُ إلى سبعمائةِ ضعف، فالصائمُ صابر، واللهُ يوفيهِ جزاءه، ويوفيهِ أجره بغيرِ حسابٍ يعلمهُ البشر.

فهذا الشهرُ المُبارك، شهرُ الصوم، وعلى الواحدِ مِنا يا إخوة أن يكتسبَ مِنْ هَذَا الشهر صفةَ الصبر فِي بقيةِ حياته؛ فإنَ مَنْ رُزقَ الصبر قد رُزقَ نصفَ الإيمان، فينبغي علينا يا إخوة أن نجعلَ شهرَ رمضان مدرسةً للصبر، حتى إذا خرجنا مِنْ شهرِ رمضان استمرينا على هَذَا الصبر فنصبرُ على طاعة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولو وجدنا شَيْئًا مِنْ التعب ونصبرُ عَنْ معاصي الله ولو وجدَ مُرتكبوها شيئًا مِنْ اللذةِ الزائلةِ الفانية.

ونصبرُ على أقدارِ اللهِ المؤلمة، ونصبرُ على أذى الخلق، ونُعاملُ الخلق بالأخلاق الحسنة، ولا نجزعُ ونقبلُ إساءتهم بإساءة أشدَ منها، بل نحرصُ على أن نكونَ مِنْ الأخيار الذين إذا أُسيئ إليهم أحسنوا، وصبروا ابتغاءَ مَا عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❐ **ثُمَّ يا معاشر الفُضلاء،** درسنا الَّذِي نشرفُ به فِي مسجدِ رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شهرنا المُبارك، أنا نُفسرُ كلامَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فنتدبرُ القُرآن ونقفُ عندَ معانيه، ونأخذُ منهُ الحكمَ الكُبرى.

ولا زلنا نُفسرُ سورة الحاقة، قد كُنا فسرنا الآيات الأخيرة مِنْ السورة تفسيرًا موضوعيًا إيمانيًا إجماليًا، ثُمَّ شرعنا فِي التفسير التفصيلي لهذه الآيات بدًا مِنْ قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨]، إلى آخرِ السورة، ففسرنا بعض الآيات تفسيرًا تفصيليًا، ونُكملُ هَذَا التفسير التفصيلي، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأُ لنا مِنْ حيثُ وقفنا مِنْ تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ ونُعلقُ عَلَيْهِ.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبينا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبهِ أَجْمَعِين، أَمَّا بَعْدُ: فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمامُ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تفسيره: فِي قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤]، فإنه لو تقولَ عَلَيْهِ وافترىٰ بعض الأقاويل الكاذبة.

(الشرح)

ذكرنا يا إخوة أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقامَ للخلقِ ثلاثةَ براهينَ قطعية على صدق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أنَ القُرآنَ تنزيلٌ مِنْ عِنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

أولُ هذه البراهين: هُوَ القسمُ الواسع الَّذِي أوسعُ قسمٍ فِي القُرآن، حيثُ أقسمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بما يراهُ البشر، وما لا يراهُ البشر، وَهَذَا يعمُ كُلَّ شيء.

وعندَ بعض السلف أن اللهَ أقسمَ بما يراهُ البشر مِنْ مخلوقات الله، وما لا يراهُ البشرُ مِنْ مخلوقات الله، فيكونُ هَذَا قسمًا بكُلِّ شيءٍ دونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلى كُلِّ حال: فهذا القسمُ مُحيطٌ واسع، يدلُ على عظمِ المُقسمِ عَلَيْهِ، فأقسمَ اللهُ هَذَا القسمَ العظيم على أمرٍ لا يحتاجُ إلى قسم، هُوَ مؤكدٌ بلا قسم، فكيفَ إذا لحقهُ هَذَا القسمُ العظيمُ الواسع مِنْ الرب العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأقسمَ اللهُ بهذا القسم على صدقِ رسولِنا مُحَمَّد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى براءتِهِ مما ينسبهُ إليه الكُفارُ الأفاكون الكذابون، وعلى أن القُرآنَ تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وأما البُرهانُ الثاني: فَهُوَ هَذَا الَّذِي بدأنا فِي قراءةِ تفسيرِهِ التفصيلي، حيثُ قَالَ الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: لو تكلفَ وافترى وجاءَ هَذَا الرَّسُولُ ببعض الأقاويل، بشيءٍ مِنْ الأقاويل يفتريها وينسبُها إلينا.

(المتن)

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

(الشرح)

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، قِيلَ: لأخذناهُ بقوةٍ غالبةٍ قاهرة؛ لأن اليمينَ فِي مثلِ هَذَا المقام تدلُ على القوة والغلبة والقهر، وَهَذَا تفسيرٌ لجماعةٍ مِنْ السلفِ الصالح رضوانُ اللهِ عليهم.

وقيلَ: لأخذناهُ بيمينِه عقوبةً لَهُ وإذلالًا لَهُ.

(المتن)

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]، وَهُوَ عرقٌ متصلٌ بالقلبِ إذا انقطعَ هلكَ منه الإنسان.

(الشرح)

فورًا، فإذا قُطعَ هَذَا العِرق فإن الإنسان يموت فورًا، ولا يبقى لحظةً.

وقالَ بعضُ المفسرين: ومعنى كلامهم: أنه النُخاع الشوكي، الحبل الَّذِي يكون فِي الظهر؛ فإنه إذا انقطعَ شُلَ الإنسان، وقد يموت الإنسان.

وقيلَ: الوتين نياطُ القلبِ، أي الأمور التي يُعلقُ بها القلب فِي مكانه؛ حتى يؤدي وظيفته.

والمقصودُ: لأهلكناهُ سريعًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فلو قُدرَ أن الرَّسُولَ –حاشا وكلا– تقولَ علىٰ الله؛ لعاجلهُ بالعقوبة وأخذهُ أخذَ عزيزٍ مُقتدر؛ لأنه حكيمٌ قديرٌ علىٰ كُلِّ شيء، فحكمتهُ تقتضي ألا يُمهلَ الكاذبَ عَلَيْهِ الَّذِي يزعمُ أن الله أباحَ لَهُ دماءَ مَنْ خالفهُ وأموالهم، وأنه هُوَ وأتباعهُ لهم النجاة، وَمَنْ خالفهُ فله الهلاك.

فإذا كان اللهُ قد أيدَ رسولهُ بالمعجزات، وبرهنَ علىٰ صدقِ مَا جاءَ به بالآياتِ البينات، ونصرهُ علىٰ أعدائه، ومكنهُ مِنْ نواصيهم، فَهُوَ أكبرُ شهادةٍ منهُ علىٰ رسالته.

وقوله: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، أي لو أهلكه، مَا امتنعَ هُوَ بنفسهِ ولا قدرَ أحدٌ أن يمنعهُ مِنْ عذاب الله.

(الشرح)

نعم، لو كان الأمرُ أنهُ تقولَ على ربهِ بعضَ الأقاويل، وأرادَ اللهُ إهلاكهُ لما استطاعَ أن يدفعَ عَنْ نفسه، ولما استطاعَ أحدٌ منكم، بل كُلكم، أن يدفعَ ذَلِكَ عنه.

هَذَا البُرهانُ الثاني القاطع على صدقِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن كُلَّ مَا جاءنا به عَنْ الله صدقٌ محض، لم يُخفي شَيْئًا، ولم يُغير شَيْئًا، ولم يفتري شَيْئًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذلك أن شأنَ الحكيم القوي القادر أنهُ لو كذبَ عَلَيْهِ كاذبٌ ونسبَ إليهِ شيءٌ، وأخذَ يدعو النَّاس إليه؛ فإنه مِنْ شأنهِ أن يفضحه، وأن يكشفَ ستره فضيحةً ظاهرة، أو يأخذهُ بقوةٍ وقُدرة.

فلو كان ذلكَ حاصلًا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يزعمُ الكُفار، لفضحهُ الله، ولما أبقاهُ الله، بل أخذهُ أخذَ عزيزٍ مُقتدر.

لكنَ الواقعَ على غيرِ ذَلِكَ، فاللهُ حفظَ رسوله، واللهُ صانَ رسوله، واللهُ أيدَ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فدلَ ذلكَ دلالةً بينة على أنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادقٌ فِي كُلِّ مَا جاءَ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الحاقة: ٤٨] أي القُرآنُ الكريم.

(الشرح)

(وإنه) الضمير يرجع إلى القُرآن الكريم.

وقالَ بعضُ المُفسرين: الضمير يرجع إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا هُوَ البُرهانُ القطعيَ الثالث على صدق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أنَ القُرآنَ مِنْ عِنْدَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، يتذكرونَ به مصالحَ دينهم ودُنياهم، فيعرفونها ويعملونَ عَلَيْهَا، يُذكرهم العقائدَ الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكامَ الشَّرْعِيَّة، فيكونونَ مِنْ العلماء الربانيين، والعُباد العارفين، والأئمة المهديين.

(الشرح)

هَذَا على أنَ الضمير هُوَ القُرآن، وإذا قلنا إن الضميرَ راجعٌ إلى رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون معنى الآية: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذكرُ المتقين بما يأتيهم به مِنْ وحيٍ مِنْ عندِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فينتفع المُتقونَ بما يأتي به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَذَا البُرهانُ الثالث على صدقِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أن القُرآنَ كلامُ اللهِ مِنْ عندِ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منهُ بدأ، وسمعهُ منه جبريل، وأسمعهُ لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أسمعهُ للصحابة، ولازالت الأُمةُ تسمعهُ إلى اليوم بحمد اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك أن حقيقة القُرآن أنهُ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فبِهِ تطمئنُ قلوبهم، وبه يزدادُ إيمانهم، وبه يعرفونَ الهُدى.

وكُلُّ مؤمنٍ يقرأُ القُرآن يُدركُ هَذَا يقينًا؛ فإنه كُلما قرأ المُسلمُ القُرآنَ، كلما وجدَ فِي قلبهِ قوةً وإيمانًا ونشاطًا للطاعة وطُمأنينة وراحة.

واللهُ عَزَّ وَجَلَّ أخبرَ أن القُرآنَ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، لأنهم هم الذين ينتفعونَ بهِ.

أما غيرهم فمُعرض، لا لكون القُرآنِ لا يصلحُ لهدايته، وإنما لكونِ ذلكَ الخبيث مُعرضًا عَنْ القُرآنِ الكريم، بل إن مِنْ عجائبِ هَذَا القُرآن أن مَنْ استمعَ إليهِ أحسَ بشيءٍ عجيب، وارتاحت نفسه، حتى الكُفار، إذا سمعَ الكافرُ القُرآن تجدُ أنه يذكر أنه يشعر بشيءٍ عجيب، بل رأينا مِنْ الكُفار مَنْ إذا تُلِيَ عَلَيْهِ القُرآن، مع أنه لا يعرفُ العربية، وليسَ مُسلمًا، رأينا دموعهم تسيلُ على خدودهم، مما يشعرونَ به مِنْ وقعِ هَذَا القُرآنِ على أنفسهم.

وأذكرُ أن داعيةً مِنْ خريجي الجامعةِ الإسلامية فِي إحدى الدول التي تكثر فيها الوثنية، فيها مُسلمون لكنَ الوثنيينَ أكثر، كانَ يبثُ فِي الإذاعة، فِي إذاعة خاصة، وقد استُأجرت لَهُ ساعات، كان يبث نصف ساعة القُرآن الكريم، فجاءهُ مسؤول كبير مِنْ وزراء الحكومة وثني، وقالَ لَهُ: هَذَا الغناء الَّذِي تضعونهُ، مِنْ أينَ تأتونَ بهِ؟

فقالَ لَهُ: هَذَا ليسَ غناءً، هَذَا القُرآن، هَذَا كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَقَالَ لَهُ الداعية: لماذا تسألُ عنه؟

فَقَالَ: لأني مِنْ زمن مصابٌ بأرق، مَا أستطيع النوم، لَكِنّ منذُ وضعتم هَذَا فِي الإذاعة صِرتُ إذا استمعتُ إليه أرتاح وأنام، فسألتُ عنك حتى عرفتُ مسجدك، فجاء إليه فِي المسجد وَهُوَ وزير، وسألَ، فلما أخبرهُ ودلهُ على الْإِسْلَام أسلم، وزارني هَذَا الوزير فِي البيت بعدَ أن أسلم.

هَذَا القُرآن أمرهُ عجيب، فهذا يدل دلالة تامة على أنهُ مِنْ عِنْدَ الله، والله لا يُمكن أن يكونَ هَذَا التأثير العظيم إلا لأن هَذَا كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا يدل دلالة عظيمة على صدقِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أن القُرآنَ مِنْ الله.

بمعنى: أن هَذَا البُرهان مضمونهُ: أنَ مَا يجدهُ النَّاس عندَ سماعِ القُرآن مما لا يجدونهُ عندَ أي سماع، يسمعونَ الشِعرَ فلا يجدونَ هَذَا، يسمعونَ كلامَ الكُهان فلا يجدونَ هَذَا، يسمعونَ كلام البُلغاء فلا يجدونَ هَذَا، لَكِنّ إذا سمعنا القُرآن خضعوا لَهُ، أعني خضوعًا لا إراديًا بحيث يشعرون بشيءٍ عجيب فِي أنفُسِهم.

أما المؤمنون فيخضعونَ لَهُ حقيقةً، ويهتدونَ به حقيقة؛ فهذا بُرهانٌ قطعي على أن القُرآنَ كلامُ الله، وأنهُ مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: ٤٩] به.

(الشرح)

نعم، يعني مع كُل هذه البراهين، فإن منكم مُكذبينَ بالقُرآن، ونحنُ نعلمُ مَا فِي قلوبِهم، ونعلمُ أحوالهم، وإنا على أخذِهم لقادرون.

(المتن)

قَالَ: وَهَذَا فيهِ تهديدٌ ووعيدٌ للمكذبين، وأنه سيُعاقبهم علىٰ تكذيبهم بالعقوبةِ البليغة.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].

(الشرح)

﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير هنا، قيل: يرجع إلى القُرآن، فالقُرآنُ حسرةٌ على الكافرين.

(المتن)

قَالَ: فَإِنَهُم لما كفروا به، ورأوا مَا وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ولم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، وحصلوا علىٰ أشدِ العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

(الشرح)

أي: إن القُرآن: ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا العذاب، ورأوا العذاب، وتيقنوا مِنْ العذاب، يتحسرونَ أشدَ الحسرات؛ على أنهم مَا آمنوا بهِ، وما اهتدوا بهِ.

وقالَ بعضُ المُفسرين: الضميرُ يرجعُ إلى يومِ البعث، ويوم القيامة الَّذِي هُوَ الحاقة، فإنهُ يتحسرُ فِيه المكذبونَ والكافرونَ والمُفرطون، يتحسرونَ حسرةً شديدة.

(المتن)

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].

(الشرح)

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قِيلَ: الضمير يرجع إلى القُرآن، وَهَذَا قول الأكثر.

(المتن)

أي: أعلىٰ مراتب العلم، فإن أعلىٰ مراتب العلم اليقين.

(الشرح)

نعم، أعلى مراتب العلم (اليقين) الَّذِي لا شكَ فيه، وأعلى اليقين (حَقُّ اليقين).

إذًا عندنا: أعلى العلم (اليقين). وعندنا: أعلى اليقين (حَقُّ اليقين).

(المتن)

قَالَ: وَهُوَ العلمُ الثابتُ الَّذِي لا يتزلزلُ ولا يزول.

واليقينُ مراتبُ ثلاثة، كُلُّ واحدةٍ أعلىٰ مما قبلها:

أولها: عِلمُ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُستفادُ مِنْ الخبر.

(الشرح)

نعم، يعني العلمَ التام الَّذِي لا شكَ فيه المُستفادُ مِنْ الخبر.

فعلمُ اليقين يا إخوة يُدركُ بالسمع؛ لأن الإنسان يسمعُ الخبرَ بأُذنهِ، كعلمنا اليوم بما يكونُ يومَ القيامة، وفي الجنة، فإنا نعلمُ ذلكَ علمَ اليقين؛ لأن اللهَ أخبرنا، ولأن رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا، وإنا مُصدقونَ بذلك، وعلى يقينٍ مِنْ ذَلِكَ؛ فهذا علمُ اليقين.

(المتن)

قَالَ: ثُمَّ عينُ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُدركُ بحاسة البصر.

(الشرح)

نعم، هُوَ العلمُ التامُ الَّذِي لا شكَ فيِه المُدركُ بالرؤيةِ والمُشاهدة.

كالعلمِ بالجنةِ عِنْدَ رؤيتها قبلَ دخولِها.

(المتن)

ثُمَّ حقُ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُدركُ بحاسة الذوقِ والمُباشرة.

(الشرح)

نعم، هذه المرتبة الأعلى، حَقُّ اليقين؛ وَهُوَ العلمُ التامُ الَّذِي لا شكَ فيه، المُدركُ بالمباشرة أو بالذوقِ.

مثلًا: العلم بالجنة ونعيمها عندَ دخولها، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم ووالدينا وأهلينا وذرياتِنا ومَنْ نُحب ممن يدخلونَ الجنةَ ابتداءً.

مَنْ دخلَ الجنة ذاقَ نعيمها، وباشرَ نعيمها، فيكون علمهُ إذ ذاكَ حَقَّ اليقين.

وكذلك مثلًا: إذا سمعتَ بفاكهة، لو وصفت لكَ فاكهة مِنْ قبلِ أشخاصٍ ثقات، فإنكَ تعلمُ بها علمَ اليقين، فإذا جيء به إليك ورأيتها بعينك؛ فإنكَ تعلمُ بها علمَ عين اليقين، فإذا شققتها وذُقتها فإنكَ إذ ذاك يكونُ علمُكَ بها علمَ حق اليقين؛ لأنه كان بالذوق، ذُقتَ طعمها.

يأتينا أُناس ويقولون: والله عندنا إندونيسيا فاكهة طعمها لذيد، وا، وا، وهم ثِقات عندنا، فيُصبح عندنا علم اليقين. يأتون إلى العمرة يأتون بشيء مِنْ هذه الفاكهة، نراها، يُصبح عندنا عين اليقين، نقطعها، نأكلها، يُصبح عندنا حق اليقين، ولا أعلى منهُ.

ولذلك يا إخوة اليقين يتفاوت، اليقين كُلُّهُ لا شكَ فيه، ولكنَ اليقينَ يتفاوت.

قَالَ: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، مزيد اطمئنان، مزيد عِلم بهذه الدرجات.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: فهذا القُرآنُ بهذا الوصف فإن مَا فيِهِ مِنْ العلوم المؤيدةِ بالبراهين القطعية، وما فيِهِ مِنْ الحقائقِ المعارفِ الإيمانية، يحصلُ به لمن ذاقه حق اليقين.

(الشرح)

ولا شكَ فِي هذان وكُلما تلوتَ القُرآن كلما ازدتَ يقينًا، مِنْ عجائب هَذَا القُرآن أنكَ كلما تلوتهُ كأنكَ تتلوهُ أولَ مرة، ولا يُمكن، لا يُمكن أن تتلواَ القُرآنَ بتدبر، إلا وتخرجَ بفائدةٍ جديدة، تعودُ على إيمانك، وتعودُ على تدينك بالخير.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: الضميرُ فِي قولِ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾، يرجعُ إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَهُوَ الحَقُّ اليقين، الَّذِي لا يعتري رسالتهُ شكٌّ؛ فَهُوَ صادقٌ بلا شك، ورسولٌ بلا ريب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: الضميرُ هنا يرجعُ البعث ويوم القيامة، أي أن البعثَ حقُ اليقين، ويومُ القيامة هُوَ حقُ اليقين؛ فَهُوَ أمرٌ لا يتطرقُ إليه شك.

(المتن)

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

قَالَ رَحِمَهُ الله: أي: نزههُ عما لا يليقُ بجلاله، وقدسهُ بذكرِ أوصافِ جلالهِ وجمالهِ وكماله.

(المتن)

ختمَ الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الصورة بهذه الخاتمة المُناسبة لما فيها، وانظروا يا إخوة، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

عندنا سؤالان:

السؤال الأول: لماذا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؟ لماذا لم يقل: فسبح ربكَ العظيم؟

يقول العلماء: لأن هَذَا أعم، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ لأن فيهِ: أن تُنزهَ اسمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عما لا يليقُ بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا تُخرجُ الأسماءَ عَنْ معانيها، ولا تُجردُها عَنْ معانيها، ولا تُجردُها عَنْ الصفة التي فيها، بل تُثبتُ الاسمَ بمعناه بالصفةِ التي فيهِ. نزه اسمَ ربك عَنْ أن تصرفهُ عَنْ المُرادِ به، وَهَذَا يستلزمُ استلزامًا أوليًا: أن تُنزهَ ربكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما لا يليقُ بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا نزهتَ اسمَ ربك العظيم، فَمِنْ باب أولى أن تُنزهَ ربكَ العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. **هَذَا مِنْ وجه.**

وَمِنْ وجهٍ آخر، قَالَ العلماء: إن تنزيهَ الله عَزَّ وَجَلَّ قد يكون بالقلب فقط، وقد يكون باللسان. تُنزهُ ربك بقلبك، وقد تُنزه ربك بلسانك.

أما عندما قَالَ الله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فإنهُ دَل على أن التنزيهَ هنا لَا بُدَّ أن يكون بالقلب واللسان؛ لأن الاسمَ لا يُنزهُ بالقلب وحده، وإنما يُنزهُ بذكرهِ مع مَا فِي القلب.

إذًا قول الله ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ كَانَ لفائدتينِ عظيمتين:

الأولى: أن هَذَا أعم فِي المعنى.

والثانية: الدلالة على أن تنزيهَ الله هنا يكونُ بالقلبِ واللسان معًا؛ لأن الاسمَ إنَّمَا يُنزهُ بالقلبِ واللسانِ معًا.

السؤال الثاني: لماذا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فأدخلَ الباء؟ لماذا لم يقل الله عَزَّ وَجَلَّ: (فسبح اسمَ ربكَ العظيم)؟ كما فِي ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، لماذا دخلت الباء هنا؟

يقولُ لك العلماء: دخلت الباء هنا للدلالةِ على أن هَذَا الأمرَ بالتنزيهِ فِي الصَّلَاة.

للدلالة على أن الأمرَ بالتنزيه هنا فِي الصَّلَاة، أي سبح باسم ربك العظيم فِي صلاتك، فزيدت الباء للدلالةِ على هَذَا.

بعد أن ختمنا تفسير السورة، على عادتنا نذكرُ بعضَ الحكم الكُلية، والفوائد الكُبرى للسورة:

فَمِنْ ذلكَ: عظمُ شأن يوم القيامة، وما فيهِ مِنْ أهوال، فهذه فائدةٌ عظيمة مِنْ فوائد هذه السورة.

الفائدةُ الثانية والحكمةُ الثانية الكُبرى: أن المؤمن ينبغي لَهُ أن يتذكرَ القيامةَ دائمًا، وما فيها مِنْ أهوال، وألا يغفلَ عَنْ ذَلِكَ، وأن يُحسنَ الاستعدادَ لذلك اليوم، وأن يحرصَ على أن يكونَ فِي ذلكَ اليوم مِنْ الآمنينَ المُكرمين عِنْدَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلكَ بلزومِ التوحيدِ والتقوى.

ينبغي على المؤمن يا إخوة أن يتذكر دائمًا يوم القيامة، وما فيهِ مِنْ أهوال، وأنه صائرٌ إليهِ وَلَا بُدَّ، وأن يستعدَ لذلك اليوم أحسن الاستعداد، والله يا عبد الله، والله ستلقى الله، والله ستلقى الله، والله سيُكلمُكَ الله، واللهِ لتُسألنَ بين يدي الله، وأنتَ اليوم تستعدُ لذلك اليوم، أحوالُكَ وأفعالُكَ وأقوالُكَ تنبني عَلَيْهَا الإجابة فِي ذَلِكَ اليوم العظيم.

فينبغي أن تحرص، يجب أن تحرص على أن تكونَ مِنْ المُكرمين فِي ذَلِكَ اليوم، الذين يصدقونَ فِي قولِهم ويُصدقونَ فِي قولِهم، ويأمنونَ فِي ذَلِكَ اليوم، ولن يكونَ هناكَ طريق إلا بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتجريد الاتباع لمحمد بن عبد الله رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تجعل أحدًا يحولُ بينك وبين رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إياك أن يقطعكَ قاطعٌ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ تعلم عبادة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعبدَ الله كما عبدَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆تعلم أخلاقَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتتخلقَ بهذه الأخلاق العظيمة الكريمة، والتقوى.

☚ **إذًا مَنْ أرادَ أن ينجو يوم القيامة،** مَنْ أرادَ الأمنَ يوم القيامة، مَنْ أرادَ الإكرامَ يوم القيامة فعليهِ بتوحيدِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُشركُ بربهِ شَيْئًا، وعليه بتجريدِ الاتباعِ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه بالتقوى، أن يعملَ بطاعة الله على نورٍ مِنْ الله يرجو ثوابَ الله، وأن يتركَ معصيةَ الله على نورٍ مِنْ الله يخافُ عقابَ الله.

☚ **الفائدة الثالثة والحكمة الثالثة:** أن القصصَ الحق فيها عبرةٌ للمؤمنين، وأن ذِكر القصص الحق مِنْ غيرِ توسعٍ وإفراط أسلوبٌ شرعيٌ فِي الوعظِ والتذكيرِ والدعوة. القصص الحق فيها عبرة لأولي الألباب، فَمِنْ الأساليب الشَّرْعِيَّة النافعة الناجعة: أن الداعيةَ والواعظَ والمُعلم يذكرُ القصصَ الحق فِي كلامه، مِنْ غيرِ إفراط؛ فإن هَذَا مِنْ أنفعِ مَا يكون فِي الدعوةِ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

☚ **الفائدةُ الرابعة والحكمةُ الرابعة: أن النَّاسَ يقوم القيامة ينقسمونَ إلى فريقين:**

– <u>**فريقٌ يُكرمونَ ويُسعدونَ،**</u> وجوههم ناعمة، راضونَ بسعيهم وبجزاءِ سعيهم بفضلِ ربهم، وَهُوَ أهلُ التوحيدِ والسُّنّةِ والتقوى.

– <u>**وفريقٌ يُهانونَ ويشقونَ،**</u> وجوههم خاشعة، عَلَيْهَا غبرة، يتحسرونَ على مَا مضى منهم، وهم أهلُ الكُفرِ بلا استثناء، وأهلُ البدعِ والمعاصي، إلا أن يشاءَ اللهُ شَيْئًا.

فعلى العاقل أن يختارَ لنفسه، يا أخي قد عرفتَ الفريقين، فكُن اليوم مِنْ أهلِ الفريق الفائز، لتكونَ معهم يومَ القيامة، كُن مع أهل التوحيد، كُن مع أهل السُّنّة، كُن مع أهل التُقى حتى تكونَ مع المُكرمينَ يومَ القيامة.

☚ **الفائدةُ الخامسة: أنه لا ينفعُ الإنسانَ يومَ القيامةِ شيءٌ مِنْ دُنياه، إلا مَا كانَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** والله، والله لو كُنتَ أغنى النَّاس، لا تتمنى شَيْئًا إلا تجدهُ، عندكَ أموالُ الدُّنْيَا، أغنى أهل الأرض، واللهِ والله إن هَذَا المالَ لا يُفيدُكَ شَيْئًا يومَ القيامة، إلا مَا قدمتَ لربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يا إخوة المُكثرونَ فِي الدُّنْيَا هم الأقلونَ فِي الآخرة، المُكثرونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الأموال، هم الأقلونَ فِي الآخرة، إلا مَنْ قَالَ بالمالِ هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، أي أخرجَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكان جوادًا فيما يُخرجهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

والله يا أخي لو كُنتَ ذا سُلطانٍ، لو كُنتَ والٍ على النَّاسِ أَجْمَعِين، لو كُنتَ تحكمُ الأرضَ كُلَّها، واللهِ لا ينفعُكَ ذَلِكَ يومَ القيامة شَيْئًا، إلا مَا تفعلهُ لله، وما تقدمهُ لله.

إذًا يا إخوة، هذه الدُّنْيَا لا تُساوي شَيْئًا، إلا إذا استعملناها فيما يُقربنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خابَ وخسر مَنْ طلبَ الدُّنْيَا للدنيا، وأفلحَ وأنجح مَنْ جعلَ الدُّنْيَا مطيةً للآخرة، لم تُلههِ عَنْ أُخراه، وما حصلَ منها جعلهُ طريقًا إلى إرضاء الله، عرفَ فيهِ حقه، ووصلَ به رحمه، وجعلهُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَهَذَا لا يعني ألا يستمتعَ بالمُباح، بل يستمتعُ بالمُباح، وأحلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ، لكنهُ يُخرجُ لله؛ لأنه يعلم أن الَّذِي ينفعهُ يومَ القيامة مِنْ دُنياه كُلِّها هُوَ مَا كان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

☚ **الفائدةُ السادسة: أن الإحسانَ إلى خلق الله عَنْ إيمانٍ بالله مِنْ أعظمِ مَا ينجو به الإنسان يومَ القيامة،** مِنْ أعظم مَا يُنجي الإنسان يومَ القيامة: أن يُحسنَ إلى خلق الله، عَنْ إيمانٍ بالله، ينطلق مِنْ الإيمان بالله، فيُحسن إلى البشر، ويُحسن إلى الحيوان، وهذا مِنْ أعظم مَا ينجو به العبد يوم القيامة.

☚ **الفائدة السابعة: أن الإساءةَ إلى الخلق، وقسوة القلب أخبث الخصالِ،** أخبث خصال الإنسان أنَ قسوةَ القلب والإساءة إلى الخلق أخبثُ خصال الإنسان، فهي سببٌ للخُذلان فِي الدُّنْيَا، وسببٌ للعقابِ يوم القيامة.

☚ **الفائدة الثامنة: أن الكُفارَ مُخاطبونَ بالشريعة خطابَ تكليف،** وأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامة يُعذبهم على كُفرِهم، وعلى تركهم الواجبات وفعلهم المحرمات، يا إخوة بعض قُصار النظر، يرونَ الكُفار يفعلون مَا يشاؤون: يشربون الخمر، يزنون، يفعلون، يفعلون، فيقولون يعني إنهم يتمتعون.

والله إن الله عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامة سيُعذبهم على كُفرِهم، ويُعذبهم على فعل الحرام، ويُعذبهم على ترك الواجب، فهم مُخاطبون بفروع الشريعة خطابَ تكليف، ولذلكَ يُعاقبونَ مثلًا: على عدم حثهم على إطعام المسكين، كما معنا فِي هذه السورة.

☚ **الفائدة التاسعة والأخيرة: أنَ خيرَ النَّاس فِي الدُّنْيَا والآخرة مركوزٌ فِي القُرآن، وما جاءَ به سيدُ ولدِ عدنان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،** النَّاس كُلُّهم خيرُهم فِي القُرآن، وشرهم فِي مُخالفة القُرآن، وفيما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرهم فِي مُخالفةِ مَا جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا أردتَ الخيرَ لنفسك فالزم القُرآنَ والسُّنّة، إذا أردتَ الخيرَ لبيتك فابنِ بيتكَ على القُرآن والسُّنّة، اجعل بيتكَ بيت قُرآن يُتلى فيهِ القُرآن، مُر أهلك، مُر أبناءك، مُر بناتك بقراءة القُرآن، رتب

مع أهلك أن يكون هُناك وُرد لكل واحد يقرأُ فيه القُرآن فِي كُل يوم، مَا يمر يوم لم يُقرأ فيه القُرآن فِي البيت، ويقرأُ جميع أفراد البيت.

وأنر بيتك بأحاديث رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جميل والله يا مؤمن، جميل أن تجمعَ أولادك وبناتك وزوجتك وإذا كان معك أحد مِنْ أهلك أيضًا وتقول تعالوا عشر دقائق نرى بعض، ونُسلم على بعض، ونطمئن على بعض، ونقرأ حديثًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل يوم واحد مِنا يقرأ حديثًا، ويأتي بمعناه مُختصرًا، أنا اليوم عندي الحديث، سأقرأ عليكم حديثًا وأشرحهُ شرحًا مُختصرًا، وأنتَ يا مُحَمَّد عندك غدًا، وأنتِ يا زينب عندكِ غدًا.

يا إخوة الأُسر اليوم تفككَ أكثرُها، الأب لا يرى أبناءه، والأُم لا ترى أبناءها، والأبناء لا يرونَ بعضهم، مع أنهم قد يعيشون فِي بيتٍ واحد! مِنْ وسائل الخير أن نجتمع على الخير، يا أخي اجعل ثُلث ساعة، ربع ساعة لسماع حديث رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليُقالَ حديثَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بيتك ويُسمع معناه باختصار.

والله يا إخوة، والله أنا أجزم أنا لو فعلنا هذين الأمرين فِي بيوتِنا، الحرص على الورد مِنْ القُرآن الكريم، والاجتماع على سُنّة أو حديث نقرؤه ونعرف معناه، لتآلفت القلوب، وزالت المشاكل، وانصرفت عنا الشياطين، بيتٌ يُبنى على ذِكر الله، مَا تدخلهُ الشياطين، وكُلّه خير وكُلّه طمأنينة وكُلّه رحمة.

خيرنا يا إخوة فِي القُرآن وَالسُّنّة، فجميل جدًا أن نجعلَ هَذَا فِي بيوتِنا، وإذا أرادَ طالبُ العلم الخيرَ لأهله ومجتمعه وبلده، فعليه بتعليم القُرآن بألفاظِهِ ومعانيه، وعليه بتعليم السُّنّة ونشر السُّنّة ودعوة النَّاس للسُّنّة، وتحذيرهم مِنْ البدع، هكذا يكونُ الخير، وهكذا يتحقق الخير فِي الدُّنْيَا والآخرة.

وبهذا نكون انتهينا مِنْ تفسير سورة الحاقة، وَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نشرعُ لاحقًا فِي تفسيرِ سورةِ المعارج، ولعلنا نُجيب عن شيء من الأسئلة.

(الأَسئلة)

السؤال: جزاكم اللهُ خيرًا، وبارك اللهُ فيكم، ونفعنا الله بِما سمعنا، أحسن الله إليكم، هَذَا يقول: مَنْ دعا غيرَ اللهِ وَهُوَ صائم، ونُصحَ فتاب مِنْ يومه، هل يصح صومهُ أم عَلَيْهِ القضاء؟

الجواب: مَنْ دعا غيرَ الله فقد فعلَ شِركًا أكبر بلا شك، فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

فإذا نُصحَ فتاب، هل يجب عَلَيْهِ قضاء ذَلِكَ اليوم؟

الجواب: أني أفهم مِنْ السؤال أنه مَا كان يعرف، وعُلم، فَهُوَ لا يُحكمُ بكُفرهِ بذاتهِ فورَ أن قالَ، مَا دامَ أن الأمرَ يعني وقعَ هكذا، لَكِنّ إذا نُصحَ فتاب فالحمد لله.

أما إذا لم يتب وعاند؛ فإنه وقعَ فِي الشرك وصارَ مُشركًا، فإذا رجعَ بعدَ حين، فإن صومهُ فِي ذَلِكَ اليوم يكون قد بطل، وعليه أن يُتمَ هَذَا الصوم، يُتم هَذَا الصوم باعتبار أنه دخل فِي الْإِسْلَام عندما تاب.

هل يجب عَلَيْهِ قضاء هَذَا اليوم؟

- محل خلاف بين الْفُقَهَاء.
- **والذي أُفتي بِهِ:** أنه ليسَ عَلَيْهِ أن يقضيه؛ لكُفرهِ فيهِ، ثُمَّ عادَ إلى الْإِسْلَام.

أما إذا كان على الأول الَّذِي ذكرناه، هُوَ جاهل، عُلم، تابَ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه يُتمُ صومهُ وصومهُ صحيح لم يبطل.

السؤال: أحسنَ الله إليكم، هَذَا يقول: هل المرتب الَّذِي تصرفهُ الدولة بعد الوفاة لَهُ حكم الميراث أم لا؟

الجواب: مَا يُصرفُ للميت مِنْ الدولة بعدَ موته، كيفَ يُقسم؟

الأول والأصل: أنه يُقسم بحسب نظام الدولة، فإذا قالت الدولة إن هَذَا المال للزوجة وللأبناء الذين صفاتهم كذا وكذا، فإنه يُصرف كذلك؛ لأن الَّذِي يصرفُ هَذَا المال هُوَ الدولة، فيُرجعُ إليها.

أما إذا لم يكن هناكَ نظامٌ يُحدد؛ فإنه يُقسمُ قسمة الميراث، كما يُقسم الميراث.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: مَنْ حفظَ القُرآن ثُمَّ نسيهُ بسبب الأشغال، فهل يأثم؟

الجواب: مَنْ حفظَ القُرآن ثُمَّ نسيهُ غلبةً للنسيانِ عَلَيْهِ فإنه لا يأثم، لَكِنّ ينبغي عَلَيْهِ أن يُحافظ على هذه النعمة العُظمى.

أما إذا تغافلَ عَنْ القُرآن، وأهملَ القُرآن حتى نسيَ، ولم يغلبهُ النسيان؛ فهذا مُتسببٌ فِي النسيانِ، فيكونُ آثمًا، وعلى هَذَا يُحملُ الحديث الوارد فِي هَذَا.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: أنه قتلَ رجلًا عمدًا، وقد طلبَ أولياء المقتول الدية، وأمهلوه ثلاثة أشهر إما أن يدفع وإما أن يُقتل، وليسَ عنده المبلغ. يقول: هل يجوز لَهُ أن يقترض القرض الربوي مِنْ أجل هَذَا الأمر؟

الجواب: اللهُ المستعان، أسأل الله أن يتوب علينا وعليك.

لَهُ أن يستعينَ بالمؤمنينَ والمؤمنات بعد استعانتهِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيسأل ويطلب مِنْ المؤمنين والمؤمنات أن يُعينوه على هَذَا، وإذا صدقت توبتهُ، فإنه يجوز أن يُعطى مِنْ الزكاة، إذا صدقت توبته يجوز أن يُعطى مِنْ الزكاة، مَا دام أن الأمر بهذه الصورة: يعني هُوَ تائبٌ مِنْ ذنبه، ولو لم يدفع سيُقتل، فلا بأس أن يُعطى مِنْ الزكاة فِي هذه الحال.

أما أن يقترض بالربا، فلا، لا، هُوَ يستحقُ القتلَ لكونهِ قتلَ مُتعمدًا، فإن أنجاهُ الله بحلال؛ فالحمدُ لله، لكنَ هَذَا لا يُبيحُ لَهُ الحرام، فيخرجُ مِنْ القتل العمد العدوان، إلى ذنب الربا الَّذِي آذنَ اللهُ فيه بحربٍ منهُ وَمِنْ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا يا أخي استعن بالله، ثُمَّ استعن بالمؤمنينَ والمؤمنات، فإن حصلتَ مَا يدفع عنكَ القتل، فالحمدُ لله، وإن لم تُحصل فاصبر لحكمِ الله، واللهُ أحكمُ الحاكمين، وأرحم الراحمين، فعل هَذَا أحسن لك، وأرحمُ بك فِي أُخراك.

أما أن ترتكب هَذَا الجُرم العظيم، وتقترض بالربا مِنْ أجل أن تُخلصَ نفسك مِنْ حُكمٍ ترتبَ على جُرمٍ فعلته، فلا، مَا يجوزُ هَذَا أبدًا.

وفقَ اللهُ الجميع، وتقبلَ اللهُ مِنْ الجميع، وغفرَ لنا أَجْمَعِين، وجعلنا مِنْ الفائزينَ بخيراتِ هَذَا الشهرِ المُبارك.

واللهُ تعالَى أعلَى وأَعْلَمُ، وَصَلِّ اللهُ علَى نبيِّنا وَسَلَّم.